الفصل الثانى

الواعظ ورسالته

الحق من خلال الشخصية:
إن كنيسة الله في أنحاء العالم تحتاج إلى رجال الله في الخدمة. وحيثما يُفتقر إلى وجود هؤلاء، فلن يستمع الناس إلى وصايا الله، وما يُقال عن الكنائس في هذا الصدد ينطبق أيضا على الإرساليات.

لقد اختار الله أن يوصِّل رسالته من خلال الناس، فإعلانه الأسمى عن ذاته جاءنا من خلال إنسان – الكلمة الذي صار جسدًا. ومن خلال الرب يسوع المسيح – هذا الوسيط البشري الكامل – وصل الحق إلينا، فأشعة النور الحقيقي لم تُوقف أو تنكسر أو تُظلم ، عندما عبرت خلال شخصية الرب الشفافة.

ولا يزال اختيار الله هو أن يوصل الحق للإنسان من خلال الإنسان، بالرغم من عيوبنا وقصورنا.

في كتابه الشهير "محاضرات في الوعظ" Lectures on Preaching يصف "فيليب بروكس Philip Brooks" الوعظ بأنه: "توصيل الحق من خلال الشخصية". ويصف بولس مقامنا كسفراء عن المسيح في 2كو5: 20 فيقول: "كأن الله يعظ بنا". فالوعظ المؤثّر والفعَّال يعتمد على ما هو أكثر كثيرا من مجرد الخطابة الجيدة، والتركيب الدقيق للرسالة،ومعرفة طرق الوعظ المختلفة. فشخصيتنا هي التي تحدِّد نوع الرسالة التي يستقبلها سامعونا؛ فما نحن عليه، وعلاقتنا الشخصية بالله، هما جانبان حيويان في

وعظنا. فلا ينبغي أن نتوقع أن تكون عظاتنا قوية مؤثرة في أيام الآحاد، بينما تتسم حياتنا بالكسل واللامبالاة بقية أيام الأسبوع .

تحدِّد دعوة إرميا وخدمته الأهمية التي يعوِّل عليها الله في شخص المتكلِّم، فقد عرفه الله قبل أن يُولد. كرَّسه وعيَّنه نبيًّا قبلما خرج من رحم أمه (إر1: 5). لم يكن له خيار في عمله، ونُحِّيت جانبا كل اعتراضاته بخصوص صغر سنه، عندما جاءه الأمر بالذهاب إلى الشعب الذي أراد الله أن يتكلم إليهم، بالرسالة التي احتاجوا أن يستمعوا إليها (إر1: 7). كان على إرميا أن يتكلم، والنتيجة ستكون كلمات الله تخرج من فمه البشري، ويصل الحق من خلال شخصية إرميا (إر1: 9). والتفويض الذي أُعطي لإرميا بهذه الوسيلة تكرر مرارًا كثيرة في الكتاب المقدس لرجال مثل موسى وصموئيل وإيليا وإشعياء ودانيآل.

إن طرق الله ووسائله لا تتغير، ألا وهي: استخدام الإنسان. أي امتياز ، إذن، يمكن لأي منَّا نواله، أعظم من أن يُدعَى من الله، ليكون رسوله لشعبنا اليوم؟! إلا أنه، ما أقل الذين يَسْعَدون لقبول هذه الدعوة، سواء لهم أو لأولادهم، لو كان في متناولهم ممارسة مهن أخرى تدرُّ الربح الكثير، مثل الطب أو المحاماة.... الخ !

خطة الله

دعونا نتأمل جيدا في الواعظ ومركزه، في خطة الله لتوصيل الحق للناس. لقد وجَّه يوحنا المعمدان أنظار أبناء جيله إلى المسيح، وقد وُصفت خدمته فيما جاء في مر1: 2: "ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي، الذي يهيِّئ طريقك قدامك."

أولا: أمره:

باديء ذي بدء، المبرِّر الوحيد للوعظ هو الثقة التي من الله أنه القائل "أنا مرسلك" (حز2: 3، 4). لا يمكن رفض مثل هذه الدعوة، فعندما يرسلنا الله علينا بالطاعة، مهما كانت خططنا، ومهما بلغت درجة تعليمنا، ومهما كانت آراء عائلاتنا. ولكن إن لم يرسلنا الله، فلن نجرؤ على الذهاب. إن أرسلنا الله فلابد من الطاعة (1كو9: 16، 17). تحتاج

الكنيسة إلى رجال الله في الخدمة، فلماذا نجد القلائل الذين يتقدمون، ولاسيَّما خريجي الجامعات؟ ألا يدعو الله، أم أن البعض لا يصغون؟

ثانيا: رسوله (ملاكه):

يوصف يوحنا المعمدان بأنه "ملاكي.." أو "رسولي"، ويشتمل هذا الوصف على كل من مجد الواعظ وتواضعه. فهو امتياز عظيم لأي إنسان أن يكون رسولاً للإله الحي، خالق الكون، إلا أنه – وفي ذات الوقت – يُعطى مكانة متواضعة بكونه منوطا به مسئولية محدَّدة. إذن ليس الرسول شيئًا، إنما هو وسيلة إبلاغ فقط من قبل مُرسله؛ فتتحدَّد مسئوليته في نقل الرسالة، فقط لا غير. فهو ليس مهما، وينحصر كل امتيازه في شخص مرسله. إنه لا يؤلف الرسالة بل يوصِّلها فقط. ولا يجب أن يغيِّر فحوَى الرسالة، أو يقدم تفسيره الخاص لها. إنه خادم للرسالة، تماما كما هو خادم لمُرسِله.

ثالثا: نذيره:

على الرسول – في حالة الواعظ – مسئولية خاصة جدا: "لتهيئة الطريق" أو "إعداد الطريق للرب"، فهو يتقدم ليجهِّز سامعيه لاستقبال من هو أكثر أهمية منه، بما لا يُقاس، والذي ينوي الحضور. تتلخص مهمَّة الواعظ في تقديم الرسالة، ثم الانسحاب من المشهد: "ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص"، هذا الشعار يمكن رفعه أينما وعَظ البشر. أحيانا أجد في نفسي رغبة جامحة للصراخ في وجه الواعظ، أثناء كلمته قائلا له: "أخرج من المشهد يا رجل، أخرج من المشهد!". إنه يبدو واعظا ماهرا، لكن سيده يبقى متواريًا في ظلّه!!!

ويتكرر ظهور الثنائية المتلازمة – الامتياز والمسئولية، المجد والتواضع – مرارًا وتكرارًا في الكتاب المقدس، ومثالاً واضحًا لذلك ما جاء في 2كو5: 20، حيث يمكن شرحه في جدول (1):

جدول1: تحليل النص الوارد في 2كو5: 20

إذًا نسعى كسفراء عن المسيح	نحن نمثّل الله الذي دعانا
كأن الله يعظ	بسلطانه الإلهي
بنا	من خلال شخصيتنا البشرية
نطلب	من خلال شخصيتنا البشرية
عن المسيح	بسلطانه
تصالحوا مع الله	الرسالة التي يجب أن نوصلها

وهكذا نرى أن الواعظ يشغل مكانا واضحًا، من الامتياز الخاص والمسئولية المحدَّدة، فله مركزًا مرموقًا يشغله، وخدمة متواضعة يؤديها. ما هي إذن، سمات أولئك المدعوين من بيننا ليكونوا وعاظًا بكلمة الله؟ سنناقش هذه السمات بالنسبة لله، وللرسالة، وللسامعين.

سمات الواعظ المفسِّر للكلمة:

أولا: أن يكون لديه إدراك لعظمة الله وحقيقته:

لن تكون رسالتنا مقنعة، ما لم يكن لنا الإحساس القلبي والإدراك العقلي، لحقيقة الإله الحي وعظمته. قبل أن يبدأ إشعياء خدمته، احتاج أن يرى الرب مرتفعًا وعظيمًا، يملك، ويُعبَد، ويملأ مجده كل الأرض (إش6: 1 – 8). كما رأى حزقيال الله متواريًا، لكن مُعلِنًا عن ذاته. يجول دائمًا لكن لا يتغير. ثابتا، متسلطًا على الكل، قدوسا ولكن رحيمًا (حز1). ودانيال فارقته قوته وسقط على وجهه أمام الحق الذي هو الله (دا10: 2 – 9). ويوحنا الرسول سقط كميت عند أقدام المسيح المقام، عندما انبثقت أمامه الرؤيا (رؤ1: 12-17). حتى الرب يسوع نفسه قضى أربعين نهارًا وأربعين ليلة وحيدًا مخضعًا نفسه لمشيئة الآب، قبل بدء خدمته. للكاتب "أ. و. توزير A.W.Tozer" نصيحة للمؤمنين يقول فيها: "اصغوا للرجال الذين يصغون إلى الله". من أسباب ضعف الوعظ في هذه الأيام، ضعف معرفتنا بالله.

ثانيا: أن يكون له شعور بالعجز، متكلا على المعونة الإلهية:

رأى إشعياء الرب نفسه، يتعامل مع مشكلة شفتيه النجستين، وأُعطِيَ حزقيال الأمر بالوقوف على قدميه، وفي ذات الوقت أُعطِيَ الروح ليتمكن من ذلك. كما وضع الرب يده على دانيآل، وأقامه مرتجف اليدين والقدمين أولاً، ثم في وضع قائم تمامًا. وقيل ليوحنا أن لا يخاف، بينما لمست يد الرب اليمنى جسده المنبطح أرضًا. لا يمكن للإنسان، الذي عرف عظمة الله وحقيقته، أن يتكلم باستخفاف أو بعجلة؛ فهو يعلم نظريًّا وواقعيًّا، أننا بدون المسيح لا نقدر أن نفعل شيئا (يو15: 5). كثيرون يثرثرون اليوم، لكن قلائل هم الذين يتكلمون في حضرة الله، باتكال واع على قوته. إن عالمنا مليء بالكلمات، لكنه يعرف النذر اليسير عن "الكلمة" التي تأتي من الله. ونحن لا يمكننا أن نأتي بهذه "الكلمة" للآخرين، ما لم نقض الوقت أولاً في الإصغاء لما يقوله الله لنا.

ثالثا: أن تكون مسئوليته أن يجعل الرسالة جزءًا من ذاته:

عندما عُهد إلى حزقيال بأن يعظ، طُلب منه أن يفتح فمه ويأكل ما أعطاه له الله (حز2: 8)، حينئذ رأى الرسالة مكتوبة أمامه في دَرْج، ولم تكن بالبشرَى على الإطلاق. كان الدَّرج زاخرًا بكلمات الرثاء والحزن والويلات، وليس من إنسان يرغب في إعلان رسالة كهذه، ومع ذلك فقد أُمِر بأكل الدَّرْج؛ ليملأ جوفه منه، ثم يذهب. وحين أطاع الأمر، صار في فمه "كالعسل حلاوة"، بالرغم مما يحمل من رسالة محزنة. ومن الواضح أنه كان عليه – كمبشِّر – أن يستقبل الرسالة في قلبه، وأن يسمعها بأذنيه، ويجعلها جزءًا من ذاته بكل معنى الكلمة، قبل أن يذهب ويخبر بها الآخرين. وعلى نفس المنوال، نجد الرسول يوحنا في رسالته الأولى (1يو1: 1- 3) يستودع الحق للناس. هذا الحق كان "كلمة الحياة". لقد أمكنه أن يثني على هذه "الكلمة"؛ لأنه كان قد سمعها، ورآها، ولمسها بنفسه. جاءت الرسالة من قلبه ومن واقع اختباره الشخصي، تمامًا مثلما جاء في إش50: 4، 5، حيث أُعطِي النبي "لسان المتعلمين" وعرف أن "يغيث المُعْيِيَ بكلمة". أي واعظ هذا الذي لا يتوق لمثل هذه المقدرة في خدمته؟! لقد اكتسب إشعياء هذه القوة؛ لأن الله كان "يوقظ كل صباح، يوقظ له أذنًا ليسمع كالمتعلّمين"، وكان مستعدًّا للتجاوب، بالرغم من المعاناة والخزي في ذلك (عدد5، 6). وكما يقول جورج آدم سميث:

"إن النبي يتعلم رسالته بالإصغاء مثل الطفل الصغير؛ فالنعمة تُسكب على الشفاه من خلال الآذان المفتوحة." من المهم أن نعرف أن هذه الفقرة نبوة عن المسيح نفسه (أعداد5، 6). يجب أن يكون إصغاء الواعظ، كل صباح لصوت الله، مصدرًا خصبًا لمادة الخدمة للآخرين، لكنها مهمة تتطلب عناية فائقة.

خلال رحلاتي، أصابتني الدهشة، عندما وجدت الكثيرين من الخدام المؤمنين عاجزين عن المواظبة على ما يسميه مؤمنو جيلي ب"الخلوة الشخصية". على مدى ثلاثين عامًا من الوعظ، وجدت أن خلوتي الشخصية في الصباح الباكر، هي ليست فقط أثمن وقت في اليوم، بل المعين الذي لا ينضب لعظاتي. وكثيرًا ما سُئلت عما أفعله خلال ذلك الوقت، لذلك، سوف أسطّر هنا ما يعتبره البعض واضحا وبديهيا: أنا أخصِّص الصباح الباكر، لأنه الوقت المثالي الذي أكون فيه متيقِّظًا ونشيطًا، وبما أني أعيش معظم حياتي في المنطقة التي تقع شمال خط الاستواء بحوالي ثلاث درجات، فهذا الوقت من اليوم هو الأكثر برودةً وجمالاً. وأنا لا أعمل بعد العاشرة مساء، أما صديقي الذي يبدأ يومه في هذا الوقت المتأخر؛ والذي يحلو له النوم في الصباح الباكر، فهو يتخذ من منتصف الليل، الوقت الخاص لخلوته الشخصية. نحن جميعًا مختلفون، وعلينا أن نعرف أنفسنا.

عادةً أبدأ بقراءة ما يثير ذهني وفكري، وغالبًا ما يكون أمرًا عقائديًّا، مما يهيِّيء ذهني ويحوِّل أفكاري تجاه الله. ثم أصلي طالبًا قيادة الروح القدس، وأتحوَّل إلى الكتاب المقدس، فأقرأ سفرًا في كل مرة، وأقضي من عشرين إلى ثلاثين دقيقة في دراسة هذا السفر، مع كتابة الملاحظات في أوراق منفصلة، أحفظها بعد ذلك في "حافظة". وأسجل في هذه الصفحات نتيجة الدراسة والتأمل في الآيات القليلة التالية، والتي يتوقف عددها على نوع الفقرة موضوع الدراسة.

أحيانا أستعين بكتاب تفسير ليكمِّل دراستي الخاصة، وأستعمل تفسيرًا واحدًا لكل السفر لفترة من الزمن. وبهذه الوسيلة أنتهي من أحد أسفار الكتاب، وقد وضعت في

الحافظة الملاحظات التي وجدتها ذات قيمة روحية ثمينة، ومثيرة للتحدي وللفكر. ومع أني أقوم بهذه الدراسات دون أن أفكر في الوعظ ، إلا أن هذه الملاحظات تشكّل مخزونًا ثمينًا لا ينضب، لعظات مستقبلية. وهذا أيضا يعني أنه عندما أُقدِم على الوعظ من فقرة من الكتاب ، يكون الرب قد استخدمها أولا لحياتي وقلبي ، وهكذا يكون الحق قد انطلق من خلال شخصيتي. أما بقية هذه الخلوة الصباحية فأستخدمها في الصلاة، مبتدئًا بالحقائق الإلهية التي استوعبتها ذلك الصباح، ثم الجانب التعبدي وبعدها إلى التشفع من أجل الأسرة، والأصدقاء، وزملاء العمل ، وأخيرًا للعالم الأوسع.

رابعا: أن تكون له الشجاعة لإعلان ما تسلَّمه من قِبَل الله:

لقد حُذِّر إرميا بألا يحتقر صغر سنه (إر1: 6- 8)، وألا يرتاع من رد فعلهم تجاه رسالته (إر1: 17 – 19). سيحاربه سامعوه، ولكن إلهه سوف يصنع منه مدينة حصينة، وسوف يكون معه لينقذه.

وأُخبر حزقيال بأنه لو كان قد أُرسل إلى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان لسمعوا، لكن شعبه كانوا صلاب الجباه وقساة القلوب، وبرغم ذلك وعده الله بأن يجعل وجهه في صلابة وجوههم، لكنه لم يذكر البتة بأنه سوف يقسِّي قلبه مثلهم (حز3: 5 – 11).

وقد حذَّر عالي – الكاهن المسنُّ – الصبي صموئيل، من كتمان رسالة أُعطيت له من الله للآخرين (1صم3: 17، 18). يمكن للشجاعة أن يشوبها التعصب، لذا فهي تحتاج أن تتشح بالتواضع والوعي الصادق، لكنها مع ذلك ذات أهمية قصوى للواعظ.

خامسًا: أن تكون له الرغبة في تعلم كلمة الله وطاعتها:

ينبغي على الواعظ أن يشترك مع سامعيه في دراسة كلمة الله؛ فوجوده على المنبر لا يعني أنه أعلى من الكلمة، فربما يريد الله أن يعطيه من الدروس ما لا يقل عن التي تُعطَى لسامعيه أيضا. لقد أمر بولس تيموثاوس قائلا: "أوص بهذا وعلِّم (1تيمو4: 11)، ويقصد "بهذا": تلك النصائح والتوصيات التي أُعطيت بالفعل لتيموثاوس نفسه في

الأعداد السابقة. كان عليه أن يتغذى بحقائق الإيمان والتعليم الصحيح الذي يتبعه. كان عليه أن يبتعد عن الخرافات الدنسة العجائزية .. وما إلى ذلك.

سادسا: أن يكون له الاهتمام بفهم احتياجات السامعين وتسديدها:

بعض الوعاظ يندر أن يقوموا بزيارة شعب كنيستهم، فكيف لهم أن يفهموا أناس لا يعرفونهم؟ مع أن كلمة الله لا تتغير من جيل إلى جيل، لكنها لابد أن تُقدَّم من جديد إلى قلوب الناس وعقولهم بأسلوب يفهمونه. كان على حزقيال أن يذهب إلى المسبيين بنفسه، قبل أن يبدأ خدمته (حز3: 15)، وكانت خبرة محيِّرة له. وتحمَّل موسى أربعين سنة في البرية، قبل أن يدعوه الله ليقود شعب إسرائيل، خلال نفس هذه البرية المحرقة. وكان الرب نفسه قادرًا على تعليم العشارين والخطاة، لأنه كان يفهمهم جيدًا، لهذا فمن الأهمية بمكان أن يكون للواعظ صلة مباشرة ومتجدِّدة بالشعب الذي يعظه، من حيث أفكارهم، وآمالهم، ومخاوفهم، ورغباتهم. ليس عليه أن يصوغ الخدمة في قالب محبَّب للسامعين ومقبول لديهم، بل أن يقدم لهم الرسالة في قالب يرتبط باحتياجاتهم. فأمثال المسيح اقتبسها من الحياة اليومية، لذا فإنها كانت تصل مباشرة إلى القلوب.

لقد أسهبت في حديثي عن مكان الواعظ، إذ أنه المفتاح للوعظ المؤثِّر والفعَّال. كان للرب يسوع المسيح أكثر الخدمات تأثيرًا على وجه الإطلاق؛ ذلك لأن التصاقه بالآب، كان حيًّا فاق أي التصاق. هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى كانت له الصلة الحية والمستمرة بعامة الشعب. عندما كان يتكلم، كان يتكلم باسم الإله الحي وفي حضرته، وكان يخاطب احتياجات الناس في جيله؛ فكانوا عندما ينصرفون يرجعون بانطباعات لا تزول، عن قوة تعاليمه وسلطانها، وعن عمق فهمه.

فإذا أردنا أن نكون فعَّالين كوعَّاظ ومعلِّمين للكلمة ، علينا بالإصغاء إلى الله وفهم الناس، وهذا يتضمن الربط بين الدراسة والاحتياجات العامة للناس، بين الوعظ من المنبر والزيارات الرعوية؛ فكلاهما أساسي للخدمة الحقيقية المؤثِّرة.

أسئلة للدراسة

1- تأمل في الفقرات التالية أو في واحدة منها:
(إش6 ؛ إرميا1 ؛ حز 1- 3: 27 ؛ دا10؛ رؤ1: 9 – 20).
اكتب تعليقك ولاسيما على الآتي:

أ) كيف رأى – كل واحد من هؤلاء الأشخاص – الله واختبره.
ب) العلاقة بين رؤية كل منهم واحتياجات الناس في أيامه.
ج) نظرة الواعظ منهم إلى نفسه.
د) كيف أعطى الله الواعظ إحساسا بقدرته على إنجاز مهمته.
هـ) السمات المطلوبة في الواعظ.
و) مضمون رسالة كل منهم وحدودها.

2- كيف اندمج كل من هؤلاء الوعاظ مع شعبه؟
3- ما هي الأمور التي حدثت، في حياتهم الخاصة وتاريخهم، التي استخدمها الله لتهيئة كل منهم لخدمته؟
4- كيف ننمِّي معرفتنا بالله ورؤيتنا له؟